﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾

[المعارج: 42 - 44]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

على الدّاعية أن يَجِدَّ في دعوته، فلا ينشغَل عنها بِمُناوَءة المُثبِّطين

لمّا ثَبَتَ أنَّ له سبحانه العظمةَ البالغةَ الباهِرَةَ مِن شُمول العِلْم وتمامِ القُدْرَةِ، فأنتجَ اعتماد أهلِ حِزبه عليه وإعراضهم عن كلِّ ما سواه؛ سَبَّبَ عن ذلك قولَه – تهديدًا للمخالفين وتسليةً للمؤالفين –: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ﴾"[1]، فلا تنشغِلْ بمؤاخذتهم يا رسولَ الله، ولا تُضيِّع وقتَكَ وجُهدك معَهُم سَدًى؛ سُدًى؛ فإنَّهم ليسوا أهلًا لذلك.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾: وذَرَ يَذَرُ مثل: وسَعَ يَسَعُ، والمستعمَل منهُ: المُسْتَقْبَلُ والأَمْرُ والنَّهْيُ، ولا يستعمل منه الماضي والفاعِل والمفعول[2]، وهو بمعنى التَّرك، قال تعالى: ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨﴾ [المُدَّثِّر: 28]، وقال تَعالى: ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام: 91] أي: أمْهِلْهُم[3]، وقولُ الله تَعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾، أي: فخلِّهم وشأنَهُمْ[4].

2) ﴿يَخُوضُواْ﴾: (خوض) تدور اشتقاقاتُها على توسُّطِ شيءٍ ودخولٍ[5]، يُقال: خاضَ، يَخوض، خَوْضًا، فهو خائِضٌ، والمفعول

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 418.
(2) المُظهري، المفاتيح في شرح المصابيح: 1/ 256.
(3) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (وذر).
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 224.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خوض).

مَخوض؛ للمتعدّي، وخاض القومُ: أمعنوا في الباطل وتوغَّلوا فيه، ومنه قولُ اللّهِ تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾، وخاض الشَّخصُ الماءَ، وخاضَ الشَّخصُ في الماءِ: دخلَهُ ومشَى فيه، وتوغَّل فيه، وخاض الغمَراتِ: اقتحَمَ الشَّدائد والمكاره، وخاضَ المنايا؛ أي: ألقى بنَفْسِه في المهالك، وخاض القومُ في الحديث: تبادَلوه وتَفاوضوا فيه، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 68]، وخاض في أعراض النّاس: اغتابهم[1].

3) ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾: اللَّعب في الأصل هو الفعلُ بغير قصدٍ[2]، يُقال: لعِبَ؛ إذا عمِل عملًا لا ينفع، وعكسه: جَدَّ، قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾، وقال سُبحانَهُ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: 2] أي: يستهزِئون ويَهْزَلون. ولعِب الصَّبيُّ؛ أي: تسلّى وقام بما يُلهيه، ولعِبَ مع أصدقائه[3]. وقال تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: 12] أي: يتسلَّ ويَفعل ما تطرَبُ به نَفْسُه[4].

4) ﴿نُصُبٍ﴾: (نصب) تدلُّ اشتقاقاتُها على إقامَةِ شيءٍ وإهدافٍ في استواءٍ[5]، والنَّصب: إقامة الشَّيء إلى أعلى قويًّا متماسكًا أو شديدًا على وضْعٍ مستقيمٍ دائم، ومنهُ قول الله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩﴾ [الغاشية: 19]، وأنصابُ الحرَم: حدودُه، وهي كُتَل عظيمة كالعُمُد القائمة.

والنَّصْب - بالفتح وبالضَّم وبضمَّتين -: ما نُصِب فعُبِد من دون الله، ومنه قول الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[6].

5) ﴿يُوفِضُونَ﴾: (وفض) تدور كثيرٌ من تصريفاتها على مَعنى الإسراعِ[7]، والوَفض: احتواءٌ أو اجتماعٌ مؤقَّت لِما شأنه الانتشار أو التَّفرّق بقوَّةٍ. ومن ذلك: الأوفاض؛ وهي الفِرَق من النّاس والأخلاط من قبائلَ شَتّى.

---

(1) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (خوض).
(2) الراغب، المفردات: (لعب).
(3) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (لعب).
(4) حسن بن حسين الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: 4/ 163.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصب).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نصب).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وفض)، والراغب، المفردات: (وفض).

ومِن هذا الأصْلِ دلَّت على إسْراعِ الجماعاتِ عَنْ ذُعرٍ ونحوه، وهو انتشارُها وتفرُّقُها بقوَّة، يقال: وفَضَت الإبل؛ إذا أسْرَعَتْ. وناقة ونعامة ميفاض: مسرعةٌ. ومنه قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾، وهذا إنذار مع تقريعٍ بالغِ الزَّجْر، وتذكيرٌ موجِعٌ بإيفاضِهم إلى الأنْصاب[1].

6) ﴿خَٰشِعَةً﴾: الخاءُ والشّينُ والعَيْنُ تدلُّ اشتقاقاتُها على التَّطامُنِ[2]، يُقال: خشَعَ يَخشَع خُشوعًا، واختشَع وتخشَّع؛ إذا رمَى ببَصره نحوَ الأرض، وغضَّه وخَفَض صَوْتَهُ. وقوم خُشَّعٌ: متخشِّعون. وخشَع بصرُه؛ إذا انْكَسَر، واخْتَشَعَ؛ إذا طأطأ صَدْرَهُ وتواضَعَ. وقال بعضُ أهل العلم: إنَّ الخشوعَ قريبٌ مِنَ الخُضوع، إلّا أنَّ الخُضوع في البدن؛ وهو الإقرارُ بالاسْتِخْذاء، والخشوعُ في البدن والصَّوت والبصر، كقوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108] أي: سكنَتْ[3].

7) ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: الرّاءُ والهاءُ والقافُ تدور اشتقاقاتُها على معنيَيْنِ كُلِّيَّين؛ أحدهما: غشيانُ شيءٍ شيئًا، والآخر: العجلةُ والتَّأخير[4]. ومن الأوَّلِ قول الله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [عبس: 40 - 41]؛ أي: تَغْشاها. ومنه أيضًا: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي: تغشاهُم. ويَرِدُ الرَّهقُ مرادًا به العظمةُ والفسادُ، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجنّ: 6]؛ أي: عظمَةً وكبرًا وطغيانًا وظلمًا، وقوله سُبحانَهُ: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ [الجنّ: 13] بأن يُزاد في سيِّئاته. والرَّهَق: العُدْوان[5].

8) ﴿ذِلَّةٌ﴾: الذّالُ واللّامُ تدلُّ تصريفاتُها على الخُضوعِ والاسْتِكانَةِ واللّين[6]، والذُّلُّ: ما كان عن قَهْرٍ، يقال: ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا، والذِّلُّ: ما كان بعد تَصَعُّبٍ وشِماسٍ مِن غيرِ قَهْرٍ، يقال: ذَلَّ يَذِلُّ ذِلًّا. وقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]؛ أي: كُنْ كالمَقْهورِ لَهُما، وقرئ شاذًّا: (جناح الذِّلِّ) - بكَسْرِ الذّالِ - أي: لِنْ وانْقَدْ لهما، يقال: الذُّلُّ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وفض).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خشع).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (خشع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رهق).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (رهق).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذل).

والقُلُّ، والذِّلَّةُ والقِلَّةُ، قال تعالى: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، وقال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: 61]، وقال: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ [الأعراف: 152][1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فدعْهم يا نبيَّنا، غيرَ مكترثٍ بهم وبما يَصنعون من تَكْذيبِهم وباطِلِهم الّذي تَعَوَّدوا اقترافَه، ولا تعبأ بما يأتون به في دُنْياهُم من أعمالٍ لا نَفْعَ فيها، ولا خيرَ منْها، وإنَّما هي لَهْوٌ ولعِبٌ، واشْتَغِل بما أُمرت به[2].

يكونُ خُروجُ الكفّار من قُبورِهم يومَ القيامةِ هَرولةً على هيئةِ انْبِعاثِهم إلى أصْنامِهم في الدُّنيا

دَعْهُم حتّى يُلاقوا يَوْمَهُم الّذي يوعَدون. واذكُر يومَ يَخْرُجون من القُبور مُسْرِعين كأنَّهم يُسْرِعون إلى أنْصابِهم الّتي نَصَبوها في الدُّنيا للعِبادَة، أرأيتَهُم وهُم يُسرعون نحوَها خاشِعَةً أبصارُهُم، ذليلةً منكسرةً، تَرْهَقُهُم ذلَّةٌ وتَغْشاهُم وتَسْتَوْلي عليهم؟ ذلك هو اليومُ الّذي كذَّبوا به، وسألوهُ مُتَعَجِّلين مُسْتَهْزِئين به، ذلك هو اليومُ الّذي كانوا يوعَدون! ويا لَيْتَهُم آمَنوا بِهِ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الفاء) في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾:

تَرْكُ الانْشِغالِ بالمُعانِدينَ

(الفاء) في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾ تَفْريعيَّة؛ فما بعدها "تفريعٌ على ما تَضَمَّنه قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ من إرادَتِهم بفِعْلِهم ذلكَ، وقولِهم: إنَّنا ندخُل الجنَّة، والاستهزاءِ بالقُرآن والنَّبيِّ ﷺ.

وبعدَ إبطالِهِ إجمالًا وتفصيلًا؛ فرّع عن ذلك أمْرَ اللّهِ تعالى رسولَهُ ﷺ بتَرْكِهم للعِلْم بأنَّهم لَم يُجْدِ فيهم الهَدْيُ والاستدلالُ، وأنَّهم مُصِرّون على العِنادِ والمُناوَأة[4].

(1) الراغب، المفردات: (ذل).
(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1586.
(3) حجازي، التفسير الواضح: 3/ 750.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 181.

فالآيةُ فيها أمْرُهُ بألّا يَشْتَغِلَ بأولَئِكَ، بل يُقْبِلُ على مَن يَرجو منهمُ الإيمان. وألّا يَشْتَغِلَ بمكافأتهم بِسوء صنيعهم؛ فإنَّ اللّه سَيَنْصُرُه عَلَيْهِم ويُكافِئُه عَنْهُم[1].

دلالَةُ التَّعبير بمادَّة (الوَذْرِ) في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾:

الدّاعيَةُ الجادّ لا يَشْتَغِلُ عَن دَعْوَتِه بمُناوءَة المُناوِئِينَ

التَّعبير بمادَّة الوذْرِ في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ يعني: اتْرُكْهُم، والمعنى: "اتْرُكْهُم يَخوضوا في باطِلِهم، ويَلْعَبوا في دُنْياهُم، واشْتَغِل بِما أُمِرْتَ به، ولا يَعْظُمَنَّ عليكَ ما هُم فيه، فليس عليك إلّا البلاغ[2]، وخَلِّهم - غيرَ مكترث بهم - يخوضوا في باطلهم الّذي مِن جملته ما حُكي عنهم، ويلعبوا في دُنْياهُم[3].

دلالةُ الخوض، وبلاغَةُ الاسْتِعارَةِ في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾:

إنَّما يَنتفع بالقرآنِ والدّين مَن تدبَّرهُما طالبًا الهدايةَ مِنْهُما

(الخَوْضُ) في اللُّغَةِ يُطْلَقُ على السَّير في الماء، والمُراد به هنا: الكلامُ الكثيرُ الّذي لا نَفْعَ فيه[4]، والمقصودُ: خَوْضُهم في القرآن الكريم، وشأنِ النَّبيِّ ﷺ والمسلمين[5]، وعلى ذلك ففي قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾ استعارَةٌ مَكْنِيَّة؛ بتَشْبيهِ تَشْكيكِهم، وذمِّهم، وتكذيبِهم القرآنَ الكريم، والرَّسولَ ﷺ، وعمومَ المسلمين بالخوض في الماءِ، وهي استعارةٌ تبعيَّةٌ، غرضُها المبالغَةُ في بيانِ شَناعَةِ سُلوكِهم، وبَشاعَةِ ذمِّهم لِلحقِّ وأهله؛ فمَعْنى قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾ أي: اتْرُكْهُم للدُّخول في باطِلِهم الَّذي تَعَوَّدوا الدُّخول فيه، ولا تَعْبَأْ بِلَعِبِهم في دُنياهُم؛ فإنَّه لا يُجْدي[6].

وفي اصْطِفاء مادَّة الخوض المرتبطةِ بدُخولِ الماءِ حِسًّا إلْماحٌ إلى صفاءِ هذا الدّين، ونقاءِ أهله، ورِواء الذِّكرِ الحكيم، وإنَّما ينتفعُ بكلِّ

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 216.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 353.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 73.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 106.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 182.
(6) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1584.

ذلك مَن تقرّب منه مُغْتَرِفًا قاصدًا الانتفاعَ، لا غائِصًا فيه بِحِقْد، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: 82].

بلاغَةُ المَجازِ في إيقاعِ فِعْلِ (الوَذْر) على ضَميرِ الكافِرينَ في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾:

اجتنابُ المُعانِدين، والعنايَةُ بأهْلِ الإيمانِ ومَنْ عِنْدَهُ قابليَّةٌ لَهُ

في إيقاع فِعْلِ (الوَذْر) على ضميرِ الكافِرين في قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ مجازٌ عَقْليّ؛ حيث أوقِع الفِعْلُ على مفعولٍ غيرِ مفعوله، له به صلةٌ مسوِّغة، فأوقع الفِعْلُ على ذوات الكافِرين، والمَقْصودُ إيقاعُه على أفعالهم القَبيحَة، وخَوضِهم البغيض. واللَّطيفة البلاغيَّة في ذلك الإيقاعِ هي المبالغةُ في اجتناب أفعالِهم الخَبيثَة، وصَرْف النَّظر عن الاهتمام بها بالكُلّيَّة، وكأنَّ المعنى: انفُض يَدَيْكَ مِنْهُم يا رسولَ الله؛ فلا يَشْغَلوكَ عن الجدّ في طريقِ دَعْوَتِك المُباركَة، والعِناية بتعهُّد مَن لديهم قابليَّة الإيمان.

وهذا "مِن قبيل تَوَجُّهِ الفعل إلى الذّات، والمرادُ: توجُّهُه إلى بعض أحوالها الّتي لها اختصاصٌ بذلك الفعل، مثل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3] أي: حُرِّم عليكم أكلُها، وقوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ [النّساء: 23] أي: أن تَجْمَعوهُما معًا في عِصْمة نكاحٍ.

والاعتمادُ في هذا على قرينةِ السّياق كما في الآيتين المَذْكورَتَيْن، أو على ذِكْرِ ما يَدُلُّ على حالٍ خاصَّةٍ، مثل قوله: ﴿يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ في هذه الآية؛ فقد يكون المقدَّر مختلفًا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: 90]؛ إذ التَّقدير: فاجتنبوا شُرْبَ الخمر والتَّقامُرَ بالمَيْسِر وعبادةَ الأنصابِ والاستقسامَ بالأزلام. وهذا الاستعمالُ هو المُعَنْوَنُ في أصول الفقه بـ (إضافةُ التَّحليل والتَّحريم إلى الأعيانِ)، أو (إسنادُ التَّحريم والتَّحليل إلى الأعيانِ)"[1].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 181.

بيانُ مَرْجِع ضميرَي المُخاطَب والمفعول في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾، وغرَضُ الأمْرِ فيهِ:

ضميرُ المُخاطَبِ المأمورِ بالوَذْر في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ هو الرَّسول ﷺ، ثُمَّ العلماءُ الدُّعاة إلى الله تعالى مِن بعده؛ فهُم حملَةُ الأمانَةِ، وورثَةُ النُّبوّة، وبهم يُنـاط نشرها في ربوع العالمين. فالخطابُ يُرادُ به في الأصل معيَّنٌ على ما هو الأصلُ فيه، ثُمَّ يُلحَقُ به غيرُهُ؛ لِما تقرَّر في الشَّرْعِ مِنْ أنَّ النَّبيَّ ﷺ محلُّ الاقتداءِ والائتساءِ. ويجوزُ أن يكون الخطاب عامًّا ابتداءً؛ لكلِّ من يتأتّى خطابُهُ ممَّن يُباشِرُ الدَّعوةَ إلى الله تعالى، فيكون الخطاب خارجًا عن أصلِهِ من إرادَةِ المعيَّنِ قصدًا لإرادَةِ العموم.

الـرَّسـول ﷺ محلُّ عنايَةِ ربِّه تعالى؛ فيَنْصَحُهُ بعَدَمِ الاهْتِمامِ لكُفْرِهِم

والمَقْصودونَ بالوَذْر هُم الكُفّار السّابقُ ذِكْرُهم في قوله: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾، والمعنى "فذَرْ هؤلاء المُشْرِكين المُهْطِعين عن اليمينِ وعنِ الشِّمال عزينَ يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في هذه الدُّنيا ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾"[1].

وغرَضُ الأمْرِ في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ تهديدُ هؤلاء المُشْرِكين[2]، وهو "أمْرٌ بِتَرْكِ ما أهَمَّ النَّبيَّ ﷺ مِن عنادهم وإصرارهِم على الكُفْر مع وُضوح الحُجَجِ على إثباتِ البَعْثِ، ولمّا كان أكبَر أسبابِ إعْراضِهِم وإصرارِهِم على كُفْرِهِم هو خَوْضهم ولعبهم؛ كنّى به عن الإعراض، بقوله: ﴿يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾"[3].

بلاغَةُ الكِنايَةِ في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾:

المُناوِئون للدّين مِن الحقارَةِ بِما يَكْفي لِعَدَمِ الاكتراثِ بِذَمِّهم لَهُ

وفي أمْرِ الله تعالى رسولَهُ ﷺ بتَرْكِهم يخوضونَ ويلعبونَ كنايَةٌ عن حَقارَتِهم، وتوجيههِ إلى عدَمِ الاكتراث بهم، وإلى إهمالِ شَأْنِهِم

(1) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 284.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 15/ 1190.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 181.

بعدَم إقامَةِ وزنٍ لِخَوْضِهِم، "وما في هذه الآية مِن ذلك الأسلوبِ؛ أي: لا تَكْتَرِث بهِم فإنَّهم دون أن تَصْرِفَ هِمَّتَك في شأنِهِم، وذلك مثلُ قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: 8]، وبهذا نَعْلَمُ أنَّ قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ لا علاقة له بِحُكْم القتالِ، ولا هو من الموادعة، ولا هو منسوخٌ بآياتِ السَّيف"[1]. وإنَّما هو هجاءٌ للكافِرين أليمٌ، مغلَّف في تعريضٍ بارعٍ مُبينٍ.

مَعْنى (الواو) في قوله: ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ عاطفةٌ، تُحقِّق على هؤلاء الكافرين تورُّطَهم في جريمَتَيْن، وتَجْمَعُ عليهم خَطيئَتَيْن عَظيمَتَيْن: الاستهزاءَ بالدَّعوة الشَّريفة، والرَّسول ﷺ، والمسلمين معه، وعدمِ احْترامِ الحقِّ وأهلِه، واللَّعب الّذي لا يُثْمِرُ خيرا.

كلُّ أمرٍ لا عاقِبَةَ لَـهُ تُـحـمَـد؛ فـصـاحِـبُـهُ فيهِ لاعبٌ لاهٍ

والخائِضُ: المُتحيِّر، واللّاعب: الخاطئ، فالمعنى: دَعْهم يا نبيَّنا فيما هُم فيهِ من خطايا وتحيُّرٍ في الدّين؛ فَكُلُّ مَن اشْتَغَلَ بِما لا يحتاج له فَهو خائِضٌ لاعِبٌ، وأصله: أنّ كلَّ أمْر لا عاقبة له تُحمَدُ؛ فصاحِبُهُ فيه لاعبٌ لاهٍ؛ كقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: 36]؛ أي: مَن يعمل في الحياةِ الدُّنيا للدُّنيا لا للآخرة فهو لاعب لاهٍ[2].

دلالَةُ التَّعبير باللَّعِبِ في قوله: ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾، ولطيفَةُ المُضارَعَةِ فيهِ:

اللَّعبُ الاشْتِغالُ بما لا فائدَةَ مِن ورائه. والمرادُ به هُنا: اسْتِهْزاؤُهُم بالحقِّ الّذي جاء به النَّبيُّ ﷺ[3]، ولعِبُهم في تَلَقّي الدَّعوة الإسلاميَّة، وخروجُهم عن حدود التَّعقُّل والجدِّ في الأمر؛ لاستِطارَة رُشْدهم حَسَدًا وغَيْظا وحَنَقًا[4].

يـتـجـدِّدُ لـعِـب الكفّار ويستمرُّ بِتجدُّد عِنادِهِم واسْـتِـهْـزائِـهِـم بالدّين وأهلِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 182.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 215.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 106.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 182.

ولطيفَةُ صَوْغِ الفعْلِ في قوله: ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ مُضارِعًا تحقيقُ تَجْديدِهم لَعِبَهم بلا فُتورٍ ولا انتهاءٍ، تجدُّدا مستمِرًّا بلا خَجَل ولا تعقُّل.

مَوْقِعُ جُمْلَتَي: ﴿يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ مِنَ التَّركيب:

الخائِضُ في بِحار أنـوارِ الـقُـرآن للانتفاعِ مأجورٌ، والـخـائـضُ بالباطلِ مَأْزورٌ

فِعْلُ الخَوْضِ في جُمْلَةِ ﴿يَخُوضُواْ﴾ مُضارِعٌ مَجْزومٌ لكونِهِ جوابَ الطَّلب في قوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ مَعْطوفٌ عليه[1]، وفيه "مبالغَةٌ في ارتباطِ خَوْضِهم ولعبِهم بِقِلَّة الاكتراث بهم؛ إذْ مُقْتَضى جَزْمِه في الجواب أن يُقدَّر: إنْ تَذَرْهم يَخوضوا ويلعبوا؛ أيْ: يَسْتَمِرّوا في خَوْضِهم ولَعِبِهم وذلك لا يَضيرُك. ومِثْلُ هذا الجَزْمِ كثيرٌ، نحو قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾ [الإسراء: 53].

ويجوزُ أن تكونَ جملةُ ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ حالًا مِنْ ضَميرِ الفاعِلِ في جملةِ ﴿يَخُوضُواْ﴾، ويكون المعنى: ذَرْهُم يَخوضوا حالَ كونِهم لاعبين هازئين بالقرآن الكريم وأمْرِ سَيِّد المُرْسَلين ﷺ ومجتمعِ المؤمنين؛ إذْ قَد يَخوضُ خائضٌ في بِحار الأنوارِ القُرآنيَّة؛ يُحلِّلُ ويَسْتَنْبِطُ، ويَلْتَقِطُ الدُّررَ ويَنْتَفِعُ، فذلك مأجورٌ؛ إذْ يَخوض مسترشِدًا، لا لاعِبًا، ولا حاقِدًا كاشِحًا.

دلالةُ ﴿حَتَّىٰ﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ﴾:

دوامُ تَـرْكِ المُـعـانِـديـن والإعراضِ عَنْهُم

﴿حَتَّىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ متعلّقة بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ لِما فيه مِن معنى: أمْهِلهم وانتظِرهم؛ فإنّ اليوم الّذي وُعِدوه هو يومُ النُّشور حين يُجازَوْنَ على اسْتِهْزائهم وكُفْرِهم، فلا يكونُ غايةً لـ ﴿يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾، والغايةُ هنا كنايةٌ عَن دوام تَرْكِهم[2].

دلالَةُ التَّعبير بمُفْرَدَةِ اللِّقاء في قوله: ﴿يُلَٰقُواْ﴾:

مِن براعَةِ النَّظم الكريم إيثارُ التَّعبير بفِعْلِ اللُّقيا، لا المقابَلَة؛

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 112.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 183.

حيث إنَّ اللِّقاء قد يكون بالمُصادَفة، والمُقابلَةُ تكونُ بالمواجهَةِ، ويومُهم الّذي يوعدون مجهولُ التَّوقيت، فيأتيهم بغتةً مصادفةً بالنِّسبة لهم، وإن كان عندَ اللهِ تَعالى معلومًا، مُؤَقَّتًا بأجلٍ مُسمًّى.

العِقابُ الآتي بَغْتَةً أوقعُ في النَّفسِ وأشدُّ وقعًا عليها

وذهب بعضُ أهل العلم إلى أنَّ اليوم الّذي يوعَدونَهُ يومان: يومُ بدرٍ، وقد لاقوا ذلك، والآخرُ هو يوم القيامَةِ، وسيُلاقونَهُ قطعًا[1].

دلالَةُ اليَوْمِ، ولطيفَةُ إيقاعِ فِعْلِ المُلاقاة عليهِ، ووَجْهُ إضافَتِه إلى ضميرِهم:

عظمَةُ يَوْمِ القيامةِ وشِدَّةُ رَهْبَتِه، ورَهْبَة أحداثِه

اليومُ المقصود في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ "هو يومُ البَعْث عند النَّفخة الثّانية؛ لِقوله سبحانه: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ أي: القبور، فإنَّه بَدَلٌ من ﴿يَوۡمَهُمُ﴾، وهو مفعولٌ به لـ ﴿يُلَٰقُواْ﴾"[2].

وعليه فالمقصودُ: "حتّى يُلاقوا عذابَ يوم القيامَةِ الّذي يوعَدونَه"[3]؛ إذْ لِقاءُ اليوم في ذاته ليسَ سببًا للتَّهديد، لكنَّ التَّهديد بلِقائِه يَسْتَلْزِمُ التَّهديد بمُعاناةِ أهوالِه ومُقاساتِها؛ بحيثُ كانَ في التَّهديد بمُلاقاتِه ما فيهِ مِن غَرْسِ الرُّعب والرَّهبة في قلوبهم؛ فإذا كان اليومُ في ذاتِه مخيفًا إلى حدِّ التَّهديدِ بمُلاقاته، فما الظَّنّ بهول أحداثِه؟.

وإضافَةُ لفظِ (يوم) إلى ضميرِهِمْ؛ لوجود المُلابَسَة[4]؛ وذلك لاشْتِمالِه عَلَيْهِم، ووقوع مُحاسبَتِهم فيهِ.

علَّةُ التَّعبير بالمَوْصولِ ﴿ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾:

الاسمُ المَوْصولُ يُتيحُ للتَّركيبِ خَصائِصَ لا يُتيحُها الاسْمُ الصَّريح

التَّعبيرُ بالاسمِ المَوْصولِ ﴿ٱلَّذِي﴾ دون التَّعبير باسْمِ القيامَةِ الصَّريح في قوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هيَّأ لِذكر جملة الصِّلة من مادَّة الوَعْدِ ﴿يُوعَدُونَ﴾ لو كانوا آمَنوا، والوعيدِ لأنَّهم أصَرّوا على الكُفْرِ. ومِنْها دلالةُ

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 216.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 73.
(3) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 284.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 183.

المضارَعَةِ فيه، ودلالَةُ بنائِهِ لغَيْرِ فاعلِه؛ فكلُّ تِلْكَ الإشاراتِ تُفْتَقَدُ دونَ المَوْصولِ، وكلُّ ذلك فاعِلٌ في هذا السّياق؛ فتَهْديدُهُم بالمَوْصولِ مع صِلَتِه يؤكِّدان أنَّ "اللّه تعالى قد أعدَّ لهم فيهِ مِنَ النَّكال والوبالِ ما هو عاقبَةُ خَوْضِهم ولَعِبِهم"[1].

دلالَةُ الفِعْلِ ﴿يُوعَدُونَ﴾، ولطيفَةُ صَوْغِهِ مُضارعًا:

سَعَةُ دِلالاتِ المُفْرداتِ القُرآنيَّة

مادَّةُ الفِعْلِ ﴿يُوعَدُونَ﴾ "صالحة لأنْ تَكونَ مِنَ الوعيدِ والإيعادِ؛ وبذلك يصيرُ الفِعْلُ ﴿يُوعَدُونَ﴾ محتملًا البِشارةَ والإنذار"[2]؛ فكان النَّظم الكريمُ بذَلِكَ يواربُ بابَ التَّوبة والغفران لمَن تابَ وأناب، ولا يُحكِم إغلاقَهُ، فيَقْضي عليهِم بالخُلود في الكُفْر والعذاب، كما يتهدَّدُهم بالإيعادِ والوعيد لو اسْتَمَرّوا على العنادِ وماتوا على الكُفْر.

والأظهرُ أنَّ المقصودَ بالفعل ﴿يُوعَدُونَ﴾ هنا هو الوعيدُ؛ لأنَّه واردٌ في مقام التَّعريض بالتَّهديد، والوعيدِ المفهوم من الأمر ﴿فَذَرْهُمْ﴾. وفي حالِ حَمْله على معنى الوعدِ أو الإيعاد يحتَمِلُ مواربَةَ بابِ المغفرةِ لمَنْ تاب، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ استعارةً تهكُّميَّةً لمَنْ أصرَّ على كُفْرِه.

دلالَةُ بِناءِ الفِعْلِ ﴿يُوعَدُونَ﴾ لغَيْرِ فاعلِه:

عناصِرُ الكَوْنِ كُلُّها ناقمةٌ على الكفّار، متربِّصة بهِم الشَّرّ والهلاكَ

في بناء الفعل ﴿يُوعَدُونَ﴾ لغير فاعله إيجازٌ؛ أجازه العِلمُ بالمتوعِّد وهوَ اللّه تعالى، وفي طيِّ ذِكر الفاعلِ أيضًا توفيرُ عنايَةِ المتلقّي على وعْيِ الوعيدِ في نفْسِه بقطع النَّظر عن فاعلِه، وإبعاد ما يَشْغَلهم عن رهبةِ التَّوعُّد، كما قال البقاعي في نظير هذه الآيةِ: "بناه للمفعولِ؛ لأنَّ المُنْكِيَ هو الإيعادُ لا كونه مِن مُعَيَّن"[3]؛ وفي ذلك مِنَ الوعيد للكافرين بذلك اليومِ وما فيهِ أشَدُّ تهديدٍ.

كما أنَّ حذفَ الفاعل يُحقِّقُ إطلاقَ جهاتِ الوعيد، ويوحي بأنَّ

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 888.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 354.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 191.

عناصِرَ الكَوْنِ كُلَّها ناقمَةٌ على الكفّار، متربِّصة بهِم الشَّرَّ والهلاك، وتَتوعَّدهم لِخروجِهم عن غايةِ خَلْقِهِم - الّتي هي عبادَةُ اللّهِ تعالى -، ومتابعتِهم أصحابَهم من كفّار الأمَمِ السّابقة على الكُفْر، ممّا يُقَرّر مُرافَقَتَهُم إيّاهم في العذابِ الخالِد؛ وكلُّ ذلك مِمّا يُراكِمُ الرّعبَ والخَوْفَ عَلى الكفّار.

لطيفَةُ إسْنادِ فِعْلِ الوعيدِ إلى ضَميرِ الجَماعَةِ في الفِعْلِ ﴿يُوعَدُونَ﴾:

في إسناد فِعْلِ الوعيدِ إلى ضمير جماعة الكافرينَ في الفعل ﴿يُوعَدُونَ﴾ دلالةٌ على شمول الوعيد عمومَ الكافرين، والقطْع بتورُّطهم جميعًا في الظُّلم والكفر، وإن تفاوتَ جُرْمُهُم. كما أنَّ فيه إشارةً إلى كَوْنِهِم السَّبب الرَّئيسَ في ذلك الوعيدِ، وكأنهم فاعلو الوعيدِ بما اقترفوهُ مِنَ الخَوْضِ والاستهزاء بالدّين، والكَيْدِ للرَّسول الكريم ﷺ وللمُسْلِمين.

الكافر بِتورُّطه في الكفر والظُّلم يتسبّب لنفسِه في الوعيدِ

دلالَةُ المُضارَعَةِ في الفِعْلِ ﴿يُوعَدُونَ﴾:

في صَوغ الفعل ﴿يُوعَدُونَ﴾ مُضارِعا معاصَرَةٌ لزمانِ الدَّعوة؛ وهو الحياةُ الدُّنيا على امتدادِها؛ فَدُعاةُ كلِّ جيل يُجَدِّدون دعوةً تلائِمُ تهديدَ جيلِهِم، وتحذيرَ أهلِ زمانهم؛ فالمضارَعَةُ في الفعل ﴿يُوعَدُونَ﴾ حقيقةٌ مطابِقة لِزمان الدَّعوة واستمرارِها المتجدِّد.

إحضارُ الوعيدِ في ذِهْنِ المُتَلَقّي

وصيغَةُ المضارعة في الفعلِ ﴿يُوعَدُونَ﴾ أيضًا تَجْعَلُه في حُكم الواقع، وتُحضِرُهُ في تصوُّر المتلقّي حسَبِ قُدرة ذِهنه على التَّصوُّر، وتُقرِّر وقوعه وحصوله بَعُدَ أجلُه أمْ قصُر؛ لأنَّ كلَّ ما أخبر اللّه تعالى عن ذلك اليوم متحقِّقُ الوقوع، كما قال سبحانه في أوّل السّورة: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾.

تكريـرُ النَّظم الكريمِ ذِكْرَ يومِ القيامةِ مبالغةٌ في التَّحذير من أهوالِهِ

موقِعُ ﴿يَوْمَ﴾ و﴿يَخْرُجُونَ﴾ في قوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾:

﴿يَوْمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ بَدَلٌ[1]،

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 353.

وفيه بيانٌ وتوجيهٌ عَنِ اليومِ الأوَّلِ الّذي في قوله: ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾[1]. وفي تكريرِهِ على سبيلِ البَدليَّةِ مزيدُ تهديدٍ للكافرينَ المكذِّبين به، وتقريرٌ لإتيانِهِ عليهِم وملاقاتِه إيّاهم دونَ سابقِ ميعادٍ.

وجملةُ ﴿يَخْرُجُونَ﴾ في موقع المضافِ إلى ﴿يَوْمَ﴾، والتَّقدير: أنَّ اليومَ الّذي يوعدونَهُ هو يومُ خُروجِهم مِن الأجداثِ سِراعًا.

دلالَةُ التَّعبير بالخُروجِ، وإشارَةُ صَوْغِه مُضارعًا في قوله: ﴿يَخْرُجُونَ﴾:

خُـروجُ العِباد للحِسابِ أمرٌ متحقَّق مُتَيَقَّن

معنى الخروج في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ بروزُ أجسادِهِم مِن الأرض، وظهورُهُم للحِساب، فليس المقصودُ خروجًا مجرَّدًا، بل خروجٌ يتبَعُهُ عظيمُ الأهوالِ وشديدُ الأحوالِ.

وجاء التَّعبير بفعل الخروج مضارعًا؛ لاستحضارِهِ في الذِّهْنِ كأنَّه واقعٌ وقتَ الخطابِ، تحقيقًا له وتأكيدًا على حدوثِه.

مَعْنى ﴿مِنَ﴾ في قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾:

بَـدْءُ حُـلـولِ العَذابِ بالكفّار المُـكَـذِّبـين هو خُـروجُـهُـم مِـنَ القُبورِ

﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ مِنْ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ حرفٌ دالٌّ على الابتداءِ؛ تُفيدُ أنّ مبتدأ خُروجِهم مِنَ الأرض، وملاقاتهم ذلكَ اليوم العَصيب يكونُ مِن هذهِ اللَّحظة، ومِن ذلك المبعَث وهو الخروجُ مِنَ الأجداثِ.

دلالَةُ التَّعبير (بالأجداث) دون (القبور):

بَـعْـثُ الـنّـاس مِـنَ الأجـداثِ متقارِبٌ، بخلافِ قَبْرِهم ففُرادَى على امتدادِ زَمَنِ الدُّنيا

الجَدَث هو القَبْر، وجَمْعُه: أجْداث[2]، والقبر: حفيرٌ يُجْعَل لِمواراة الميِّت[3]. واستعمالاتُ القرآن الكريم لِمفردة الجَدَث تدلّ على أنَّه مكانُ مبعث الأموات مِن مراقدِهِم ليوم القيامة، أيًّا كانت تلك المراقدُ، قبورًا كانت في الأرض، أو بطونَ سباع، أو أعماقَ بحارٍ، أو غيرَها.

ولم يَرِد ذِكْرُ (الأجداث) في الذِّكر الحكيم إلّا في ثلاثةِ مواضِعَ،

(1) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 284.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جدث).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 183.

وكلُّها في هذا المقام - مقام البَعْثِ -؛ وهي قولُه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: 51]، وقوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القَمَر: 7]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾، وجاءت كلُّها مجموعةً؛ للدّلالةِ على الكثرةِ العظيمةِ، وقد يُشعِرُ ذلك بِخُروجِ كثيرينَ في لحظةٍ واحدةٍ، بخلاف القُبور التي تستقبِلُ أجساد العباد فُرادى، وعلى امتدادِ الدُّنيا كلِّها.

موقع ﴿سِرَاعًا﴾ في قوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾:

﴿سِرَاعًا﴾ جمع: سريع[1]، وجاء في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ حالًا من ضميرِ الكُفّار في قوله: ﴿يَخْرُجُونَ﴾؛ أي: "مُجيبين لدَعْوَةِ الدّاعي، مهطعين إليها"[2]، وفيه إلماحٌ إلى ما هالَهُم مِن أمر النَّفخ والزَّلزلة والبَعْث، وما هنالك ممّا اللّه تعالى به عليمٌ.

هَـوْلُ النَّفخ في الصّور والزّلزلةِ والبَعْثِ وتوابعِ ذلكَ

دلالَةُ الإسراعِ في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾:

في التَّعبير بلفظِ الإسراعِ في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ تعريضٌ بأنَّ "الّذي يَحْمِلُهم على الإسراعِ هو أنَّ أنفُسَهُم أبتْ إجابةَ الدّاعي في الدّنيا؛ فنَزَلَ بِهِم الهلاكُ بتَرْكِهم الإجابةَ، فيُسارعون في ذلك اليوم إلى إجابةِ الدّاعي رجاءَ أنْ يتخَلَّصوا من العذابِ الّذي حقَّ عليهم بتَرْكِ الإجابة.

إسْـراعُ الكُـفّار إلى الإيـمـان في الآخـرةِ لا يُغْني عنهُم شيئًا؛ إذ الآخرةُ دارُ جزاءٍ لا عمَل

وذلك لا يَنْفَعُهم، وإن وُجِدَتْ منهم التَّوبة والرُّجوع عن تلك الإجابَةِ؛ لأنَّ ذلك اليوم ليسَ بيَوْمٍ ينفَعُ فيهِ النَّدامة والتَّوبة، ففزعوا عند إيقانِهم بالعذابِ إلى الإيمانِ رجاءَ أن يتَخَلَّصوا من العذاب، فلم يَنْفَعْهُم ذلكَ"[3].

(1) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 540.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 888.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 216.

معنى (كأنَّ) في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾:

هَيْئَةُ الكُفّار حالَ مَعْصيَتِهِم في الدُّنيا تُرافِقُهُم يومَ القيامَةِ؛ جزاءً وفاقًا

(كأنَّ) في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ أداةُ تَشْبيهٍ، العاقدَةُ الشَّبَهَ بين هيئةِ إسراعِ الكفّار في خُروجِهم مِنَ الأجداثِ يومَ القيامة، وبينَ هَيْئَتِهم إذْ يُهرَعون إلى أصنامِهم التي نَصبوها في الدُّنيا لعبادتها مِن دون اللّه تعالى، ورفضوا الإيمانَ به ﷺ؛ فرُبِطَ هذا بذاكَ؛ "لأنَّ لهذا الإسراعِ اخْتِصاصًا بهم. وفي هذا التَّشبيه إدماجٌ لِتفظيع حالهم في عبادةِ الأصْنام، وإيماءٌ إلى أنَّ إسراعَهم يومَ القيامةِ إسراعُ دَعٍّ ودَفْعٍ جزاءً على إسراعِهم للأصنام"[1].

دلالَةُ التَّعبير بـ ﴿نُصُبٍ﴾:

سَعَةُ دلالاتِ المُفرداتِ القُرآنيَّةِ

النُّصُب هي الأصنامُ المنصوبَةُ للعبادَةِ، أو الأعلامُ المنصوبَةُ على الطَّريق ليهتدي بها السّالك. وقال بعضُ أهلِ العلم: هوَ ما يُنصب علامةً لنزولِ المَلِك وسَيْرِه، فَهُم يُسرعون إسراعَ عَبَدَةِ الأصنام نَحْوَ صَنَمِهِم، أو إسراعَ مَن ضلَّ عن الطَّريق إلى أعْلامها، أو ما يُنْصَب علامةً ليردّ الجُنْدَ للملِك[2]، وقد كَثُر استعمالُ هَذا الاسمِ في الأصنامِ حتّى قيلَ لَها الأنصابُ، ويُقالُ لشبكَةِ الصّائد: نصب[3].

فمعنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ "كأنَّهم إلى عَلَم قد نُصِب لهم يَستبقون، والأنصابُ: الّتي كان أهلُ الجاهليَّة يَعْبُدونها ويأتونَها ويُعَظِّمونها؛ كان أحدهم يَحْمِلُ نَصَبَه معَهُ، فإذا رأى أحسنَ منه أخذَه وألقى هذا"[4].

توجيه القراءات القرآنية في ﴿نُصُبٍ﴾:

التَّكاملُ الدّلاليُّ بين القِراءاتِ القُرآنيَّة

قرأ ابنُ عامرٍ وحفصٌ عن عاصمٍ ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ بضمِّ النّون

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 183.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 246.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 371.
(4) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 285.

والصّاد. وقرأ باقي العشرة ﴿نَصْبٍ﴾ بفَتْحِ النّون وسُكونِ الصّاد[1].

فمن قرأ ﴿إِلَىٰ نَصْبٍ﴾؛ فمعناه: إلى عَلَم منْصوبٍ لَهُم، وهو فَعْلٌ بمعنى مفعولٍ، أي: منصوبٍ. ومن قرأ ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾؛ فَمعناه: إلى أصنامٍ لهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: 3][2].

مَوْقِعُ ﴿يُوفِضُونَ﴾، ودلالَةُ التَّعبير بمُفْرَدَةِ الإيفاضِ، ولطيفَةُ صَوْغِهِ مضارعا:

تقريعٌ بالغٌ وتذكيرٌ موجِعٌ

جملة ﴿يُوفِضُونَ﴾ خبَرُ (كأنَّ) في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾، و"الإيفاضُ: هو الإسراع، وفي ﴿يُوفِضُونَ﴾ معنى الفعل: يَسْتَبِقون، ويَسْعَوْن، ويَنْطَلِقون، ويَبْتَدِرون إلى نُصُبِهم، أيّهم يَسْتَلِمُه أوَّلًا، ويكون معنى الآية الكريمة: أنَّهم "لا يتَمَكَّنون من الاستعصاءِ للدّاعي والالتواءِ لنداءِ المُنادي، بل يأتون أذِلّاء مقهورينَ للقيام بين يَدَيْ ربِّ العالمين"[3]، "فهم يَخْرُجون من الأجداثِ مُسْتَبِقين كما كانوا يَسْتَبِقون إلى أنْصابِهِم"[4]، "وكذا عادةُ مَن ضَلَّ الطَّريق أن يُسْرِعَ إلى أعْلامِها"[5]. وفي هذا التَّعبير "إنذارٌ مَع تقريعٍ بالغٍ الزَّجْر، وتذكيرٌ موجِع بإيفاضِهِم إلى الأنصابِ"[6].

وعُبِّر بفعل الإيفاضِ مضارعًا؛ لإحضارِ صورةِ ذلكَ في أذهانِ المتلقّينَ؛ ليكونَ أشدَّ استبشاعًا واستِكْراهًا.

مَوْقِعُ قولِه: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ مِنَ التَّركيب:

ذلٌّ للمُشْرِكينَ يومَ القيامةِ

جُمْلَةُ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ حالٌ مِن أحوالِ هؤلاء المشركين، بعدَ خُروجِهم من قبورهم، وسَوْقِهم إلى الموقِف والمَحْشَر؛ إنَّهم يُسْرِعون

(1) البنّاء الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 557.
(2) الأزهري معاني القراءات: 3/ 92.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 888.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 614.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 74.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وفض).

مَسوقين إلى هنالك، وقد خشعَتْ أبصارُهم ذِلَّة وهَوانا[1]، فلا يَرْفعونَها لِذِلَّتِهم"[2].

دلالَةُ التَّعبير بالخُشوعِ في قوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾:

معنى قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۚ﴾: "أنَّ الذِّلَّة والقَلَقَ قَد مَلَكَ قُلوبَهُم، واسْتَوْلى على أفْئِدَتِهم، فخشَعَتْ منهُم الأبصارُ، وسكنَتْ مِنْهُم الحَركاتُ، وانْقَطَعت الأصواتُ"[3].

اجتماعُ سوءِ الحالِ الظّاهرَةِ والباطِنَةِ على المُشْرِكينَ يومَ القيامَةِ

ويجوزُ أن يكون هذا على بَصَرِ الوجوهِ وصفةِ خُشوعِها على ما جاءَ في آيةٍ أخرى، في قوله تعالى: ﴿لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ۝٤٣﴾ [إبراهيم: 43]، فيَخْشَعُ خُشوعا لا يملك صَرْف طرْفِه عنِ الدّاعي، ففيه أنَّ الذِّلَّة قد أحاطَت بِهِم حتّى أثَّرت في الأعين والوجوهِ، وفي كلِّ عُضْوٍ.

وجائِزٌ أن يكونَ هَذا على بصَر القُلوبِ؛ وهو أنّ قُلوبَهُم تَشْتَغِلُ بإجابَةِ الدّاعي عن أن تُبصر لِنَفْسِها حيلةً تتخَلَّص بها مِن أهوالِ ذَلِكَ اليوم وشَدائده. وقولهُ ﷻ: ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۚ﴾ أي: تَعْلوهُم، والذِّلَّةُ: الحالُ في النَّفْسِ تَبْدو وتَظْهَرُ مِنَ الأبصار[4].

بلاغَةُ المجازِ في اخْتِصاصِ الأبصارِ بِالخُشوعِ:

تبجُّحُ الأبصارِ سلاحُ الكفّار في الدّنيا؛ فاقتضى ذُلَّها وخُشوعَها في الآخرة

"خشوعُ الأبصارِ استعارَةٌ للنَّظر إلى أسفل مِن الذُّلّ، كما قال تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۚ﴾ [الشّورى: 45]، وقال: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧﴾ [القمر: 7]. وأصلُ الخُشوعِ: ظُهور الطّاعة أو المخافةِ على الإنسانِ"[5].

وفي اختصاصِ أبصارِهِم بالخُشوعِ: مجازٌ مرسَل بعلاقةِ الجزئيَّةِ، وذلك لِمَزيدِ خُصوصيَّة الأبصار بإبداءِ مظاهِرِ الذُّلِّ

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 15/ 1191.
(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 540.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 888.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 217.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 184.

والانكسار؛ فـ "وُصِفت أبصارُهم بالخشوعِ معَ أنَّه وصفُ الكلِّ؛ لغايةِ ظُهورِ آثارِه فيها"[1].

موقع جملة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾:

قوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ حالٌ أُخرى مِن أحوالِ الكُفّار يومَ القيامَةِ؛ أي: قد أرْهَقَتْهُم ذِلَّة، وأنْهَكَتْهُم، واشْتَدَّت عليهم وطأتُها، وآدَهُم حِمْلُها[2].

دلالة التَّعبير بمُفرَدَةِ الرَّهَق، وإشارةُ المُضارَعَةِ فيهِ:

مَن تعزَّز في الدُّنيا عن الحقِّ؛ ذَلَّ في الآخرة، ومَن ذلَّ للحقِّ في الدُّنيا؛ عزَّ في الآخرة

الرَّهَق: غِشيانُ المتقدِّم أو لَحاقه بِغِلَظٍ يخالطُه، كما تُدْرِكُ الكلابُ الصَّيدَ الهارب بسرعة، وتُحيط به لإمساكه في الحَوْزة، وكذا اللَّحاق بالهارب[3]. وقوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: "تظهَرُ عليهم، وتُلِحُّ، وتُضَيِّق نفوسَهُم. ومِن هذه اللَّفظةِ: المرهَقُ من السّادةِ بِحوائج النّاس، والمُرهَقُ بالدَّيْن"[4].

ومناسبَةُ إرْهاقِ الذِّلَّة إيّاهم في الآخرة أنَّهم كانوا يتعزَّزون في الدُّنيا، و"مَن تعزَّز فيها عن الحقِّ؛ ذَلَّ في الآخرة، ومَن ذلَّ للحقِّ في الدُّنيا؛ عزَّ في الآخرة، قال قتادةُ: هي سَوادُ الوجوهِ، ومِنْهُ: غلامٌ مراهِق؛ إذا غَشيَه الاحتلامُ"[5].

والرَّهَقُ هُنا "استعارَةٌ؛ لأنَّ الذِّلَّة لا تَغْشَى، وجملة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ فذلكَةٌ لِما تضمَّنَتْهُ السّورة في أوَّل أغراضها من قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ إلى قوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾ الآيات، وهي مفيدةٌ - مع ذلك - تأكيدَ جملةِ ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾، وفيها مُحَسِّنُ ردِّ العَجُز على الصَّدر"[6].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 74.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 15/ 1191.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (رهق).
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 371.
(5) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 14/ 324.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 184.

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿ذِلَّةٌ﴾، ولطيفةُ تَنْكيرِها ونِسْبَةِ الإرهاقِ إلَيْها:

ذِلّــة الـكـافـر يـومَ الـقـيـامَـةِ مصحوبَةٌ بقَهْر، فألَمُها النَّفسيُّ شديدٌ

في التَّعبير بلفظِ ﴿ذِلَّةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ دلالَةٌ على غايَةِ الهَوان الّذي يَلفُّ هؤلاءِ الكُفّار، ويَنْضَحُ على وُجوهِهم، ويَنْبَعِثُ مِن أبصارِهم؛ فـ "الذُّلُّ: ما كانَ عن قَهْرٍ"[1]، والذِّلَّة كذلك: سوادُ الوجوهِ[2]، وفي الذِّكر الحكيم: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ [عبس: 40 - 42].

علَّة فصلِ قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟﴾ عمّا قبلَهُ:

تَـكـرارُ وعـيـدِ المُـشْـرِكـيـنَ ومُـعـاودَةُ تَهْديدِهِم

فُصِلَتِ الجملةُ في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ عمّا قبلها؛ لكونها جملةً مستأنفَةً لا محلَّ لها[3]، أو لكونها مفسِّرةً لما قبلَها، فيكون بين الجملتين على هذا كمالُ الاتِّصالِ[4]؛ حيث تَرْتَبِطُ دلالَتُها بلفظ (يوم) الّذي ذُكر مرَّتين في السّياق القريب، وذلك في قولِه تَعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾، ثُمَّ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾.

ثُمَّ جاءَ قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ بمثابةِ الخَتم، وكلُّ هذه المواضع فروعٌ معنويَّةٌ تدلَّتْ مِن جِذْعِ شجرَةِ المعنى، وذلك رأسُ الكلامِ في الفعل: (ذرهم)؛ حيثُ تتوالَدُ ثلاثُ آيات مِن رحِم هذا الأمر وتعلِّلُ له؛ تطييبًا لخاطِرِ الرَّسول ﷺ، والّتي يتخلَّلُها جُمَلٌ تُبيّن أحوالَ المُشْرِكين في ذلكَ اليوم العَصيب، الّذي ألحّتِ الآياتُ الثَّلاث على تَكرارِه ثلاثَ مرّات، مع كلِّ مرَّةٍ تهديدٌ ووعيدٌ لهؤلاء المُنْكِرينَ.

نكتةُ التَّعبير باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾:

عـظـمَـةُ الـيـومِ الآخِـرِ وشِـدَّةُ أهْوالِهِ

في التَّعبير باسمِ الإشارة الدّالِّ على البُعْدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ تنبيهٌ إلى

(1) الراغب، المفردات: (ذل).
(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 354.
(3) الدعاس، إعراب القرآن: 3/ 383.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 220.

خطورةِ ذلك اليومِ، وهَوْلِ ما فيه من أخطارٍ تُحدِقُ بِهِم، وتَسْتَولي عليهم، والمعنى: "هذا اليومُ الّذي وصَفْتُ صفتَه، وهو يومُ القيامة الّذي كان مُشْرِكو قريشٍ يوعدون في الدُّنيا أنَّهم لاقوه في الآخرة، وكانوا يُكذِّبون به"[1]، وهو "ذلك الّذي ذُكِر ما سيَقَعُ فيه مِنَ الأحوال الهائلَةِ ﴿ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: في الدُّنيا"[2].

معنى (أل) في ﴿ٱلۡيَوۡمُ﴾:

و(أل) في ﴿ٱلۡيَوۡمُ﴾ للعَهْدِ الذِّكْريّ؛ حيثُ سبقَ ذِكْرُه في السّياق القريب مرَّتين، وهو "الّذي كانوا يوعدونه في الدُّنيا على ألسِنَةِ الرُّسُل، قد حاقَ بِهِم وحضَر، ووقَع بهم مِن عذابه ما أوْعَدَهُم اللّهُ تعالى به، وإن كانَ مُسْتَقْبَلًا فَهو في حُكْمِ الّذي قد وقَع لِتَحَقُّقِ وُقوعِه"[3].

يوم القيامة هو اليومُ الأيْوَمُ، الّذي لا يُقاسُ بِهِ غيرُه مِنَ الأيّام

وفي (أل) دلالَةٌ عَلى خُطورَةِ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ﴾، وأنَّه اليومُ الأيْوَمُ، الّذي لا يُقاس به غيره من الأيّام؛ إنَّه "يومُ كَشْفِ الغطاء، الّذي أوَّلُه عند الغَرْغَرَةِ، وتَناهيهِ النَّفخةُ الثّانية، ودخول كلٍّ مِن الفَريقَيْنِ في دارِه ومحلِّ استقرارِه، وقيل: هو يوم القيامَةِ"[4].

وفي النَّصِّ على فِعْلِ الكَوْنِ ماضيًا في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ تذكيرٌ للكافرينَ بفُرَص الوعدِ والوعيد الّتي مُنِحوها في المُضيِّ مِنْ أيّام الدُّنيا، حين كانت الفُرْصَةُ لائحَةً لهم، وكان الإيمانُ لا يُكَلِّفهم شيئًا؛ ممّا يُضاعِفُ عَلَيْهِم الحَسْرَةَ يومئِذٍ؛ فهلّا أجابوا داعيَ اللّهِ تعالى في الدُّنيا!.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخَوْض والدُّخول:

الخوضُ: من قولهم: خاضَ القومُ؛ إذا أمْعَنوا في الباطلِ وتوغَّلوا

الخَوْضُ أخَصُّ مِنَ الدّخولِ

(1) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 287.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 74.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 354.
(4) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 14/ 323.

فيه، قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾، وخاضَ الشَّخصُ الماءَ، وخاضَ الشَّخصُ في الماءِ؛ أي: دخله ومشَى فيه[1]، والدُّخول: الولوجُ. يُقال: دخَلَ، يَدْخُل، دُخولًا. والدُّخْلَةُ: باطِنُ أمْرِ الرَّجُلِ. تقول: أنا عالمٌ بدُخْلَتِه. والدَّخَل: العَيْبُ في الحَسَب، وكأنَّه قد دخَلَ عليه شيء عابَهُ. والدَّخَلُ كالدَّغَلِ، وهو مِن البابِ؛ لأنَّ الدَّغل هذا قياسُه أيضًا. ويقال: إنَّ المدخول: المهزولُ؛ وهو الصّحيح؛ لأنَّ لَحْمَهُ كأنَّه قد دُخِلَ. ودَخيلُكَ: الّذي يُداخِلُك في أمورك[2]. والدُّخولُ عامٌّ، والخوضُ إمعانٌ في ذلكَ، فهو أخصُّ.

اللّقاء والمقابلة:

لقي الشّخصَ: صادفه ورآهُ، كما قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ [الكهف: 74]، ولقي عدوَّه: قاتله وحاربه، كما قال سُبحانَهُ: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: 15][3].

اللّقاء قَدْ يكونُ بالمُصادفَةِ، والمُقابلَةُ تكونُ مواجهةً

والمقابلةُ مِن قابَل، يُقال: قابَل صديقَه وجهًا لوجه، وقابَلَهُ مواجهةً: واجهَهُ والتَقى بهِ، وقابَل فلانًا: حادثَهُ في أمرٍ، وقابَل الكتابَ المطبوعَ بالمخطوط، وعلى المخطوط: عارضَ بينَهُما، وطابقَهُ عليهِ. وقابَل السَّيِّئَةَ بالحسنة: جازَى بها[4].

والحاصِلُ أنَّ اللِّقاء قد يكون بالمُصادَفَة، والمُقابَلَةُ تكونُ بالمواجهَةِ، ولذا آثر البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ هنا باللِّقاءِ؛ لأنَّ يومَهم الّذي يوعدونهُ مجهولُ الزَّمَنِ بالنِّسبة لهم، فيأتيهِم بغتةً مصادفةً، وهوَ عندَ اللّهِ تَعالى معلومٌ.

الجدَث والقبر:

الجَدَث هو القَبْر الّذي يُبعث منه الميِّت؛ وهو مبعَث الأمواتِ مِن

الـجـدَثُ الـقـبْرُ الّذي يُبعثُ مِنْهُ المَـيِّـت، والـقـبْرُ المَدْفَنُ مُطْلَقًا

(1) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (خوض).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: 2/ 335.
(3) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (لقي).
(4) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (قبل).

مَراقِدِهِم ليَوْمِ القيامة، أيًّا كانت تِلْكَ المراقد، قبورًا على الأرضِ، أو في بطونِ السِّباع، أو أعماقِ البِحار، أو غيرها، وجَمْعُه: أجْداث. والقَبْرُ: المَدْفَنُ في باطن الأرضِ، وجمعه: قُبور[1].

الخشوع والخضوع:

الخُشوعُ: قريبٌ مِنَ الخُضوع، إلّا أنَّ الخضوع في البدن؛ وهو الإقرارُ بالاسْتِخْذاءِ، والخُشوعُ في البدنِ والصَّوت والبصرِ، كما قال اللّه تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾، وقال سُبحانَهُ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108] أي: سكَنَت، وكلُّ ساكِنٍ خاضِعٌ خاشِعٌ[2].

الـخـشـوع في البدَنِ والصَّوت والـبَـصَـرِ، والـخُـضـوعُ في البدنِ فقَط

(1) النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، ص: 58.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (خشع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"